٦ـ الإسناد العالي والنازل

أ ـ الإسناد العالي :

الإسناد العالي هو ما قل فيه عدد الرواة ، وهذا بالنسبة إلى سند آخر للحديث نفسه يزيد فيه عدد الرواة ، وعكسه الإسناد النازل .

ويفيد العلو زيادة استيثاق وقلة احتمال النسيان والغلط بقلة الرجال ، ووسيلته الرحلة للقاء شيخ الراوي .

وقد قال أبو الفضل المقدسي : « أجمع أهل النقل على طلبهم العلو ومدحه ، إذ لو اقتصروا على سماعه بنزول لم يرحل أحد منهم »[١] .

ب ـ العلو المطلق :

ويقصد به القرب بعدد الرجال من رسول الله عليه الصلاة والسلام بسند صحيح ، وهو أفضل أشكال العلو ، ومنه ثلاثيات مسند أحمد ، وثلاثيات الإمام البخاري ، ومعنى الثلاثي وجود ثلاثة رجال بين المصنف وبين النبي عليه الصلاة والسلام ، أي تابع تابعي وتابعي وصحابي .

نذكر من ثلاثيات المسند قول الإمام أحمد[٢] : ثنا سفيان ، قال : قلت لعمرو : سمعت جابراً يقول : « مر رجل في المسجد معه سهام ، فقال له النبي ﷺ : « أمسك بنصلها » ؟ قال : نعم » .

---

(١) منهج النقد ، د . عتر . ص : ٣٥٨ .

(٢) ثلاثيات المسند : ١/ ٢٦٤ ، وللمزيد في الثلاثيات ينظر الإمام الترمذي ، د . عتر . ص : ١٦ .

ومن ثلاثيات الإمام البخاري في صحيحه : حدثنا مكي بن إبراهيم قال : حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

ج ـ العلو النسبي :

أي هو علو بالنسبة إلى أحد المصنفين ، وأكثر ما يكون المصنفون أصحاب الكتب الستة لشهرتها وصحتها ، فيرغب الرواة في علو النسب إليهم لقوة أسانيدهم ، وهو على أقسام[2] .

١ ـ الموافقة :

وهي الوصول إلى شيخ المصنّف من غير طريقه بعدد أقل من العدد في طريقه .

منه رواية البخاري عن قتيبة بن سعيد (٢٤٠هـ) عن مالك حديثاً . قال الحافظ ابن حجر في « نزهة النظر » : « فلو روينا من طريقه كان بيننا وبين قتيبة ثمانية ، ولو روينا ذلك الحديث بعينه من طريق أبي العباس السراج من شيوخ البخاري عن قتيبة مثلاً لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعة ، فقد حصلت لنا الموافقة مع البخاري في شيخه بعينه مع علو الإسناد على الإسناد إليه » .

ومثله ما قاله الحافظ العراقي[3] : « مثاله حديث رواه الترمذي لابن مسعود مرفوعاً » : « يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف . . . » . رواه الترمذي عن علي بن حُجْر عن خلف ابن خليفة (١٨١هـ)

---

(١) ثلاثيات البخاري : ص/ ٣ .

(٢) راجع علوم الحديث لابن الصلاح ، ص/ ٢٣٤ وفتح المغيث ص/ ٣٤١ .

(٣) شرح الألفية : ٣/ ١٠٨ .

الأشجعي ، فلو رويناه عن طريق الترمذي وقع بيننا وبين خلف تسعة ، فإذا رويناه من جزءا ابن عرفة وقع بيننا وبينه سبعة بعلو درجتين . . . » .

٢ـ البدل :

وهو الوصول إلى شيخ شيخ أحد المصنفين من غير طريقه بعدد أقل مما في طريقه ، قال الحافظ ابن حجر : « كأن يقع لنا ذلك الإسناد بعينه ، من طريق أخرى إلى القعنبي ، عن مالك ، فيكون القعنبي فيه بدلاً من قتيبة ، والقعنبي شيخ قتيبة الذي هو شيخ البخاري .

٣ـ المساواة :

وهو استواء العدد عند الراوي وأحد المصنفين ، في عصرين مختلفين ، قال : الحافظ ابن حجر : « كأن يروي النسائي مثلاً حديثاً يقع بينه وبين النبي ﷺ فيه أَحَدَ عشر نفساً ، فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر ، بيننا وبين النبي ﷺ فيه أحد عشر نَفْساً فتساوي النسائي من حيث العدد » .

٤ـ المصافحة :

تساوي عدد الرجال في إسناد مع إسناد تلميذ أحد المصنفين ، وسبب التسمية غلبة المصافحة عند اللقاء .

د ـ علو الصفة :

١ـ العلو بتقدم وفاة الراوي على وفاة الراوي في السند الآخر ، وإن تساويا في عدد رجال السند ، قال الإمام النووي كما في تدريب الراوي : « فما أرويه عن ثلاثة عن البيهقي عن الحاكم أعلى من أن أرويه عن ثلاثة عن أبي بكر بن خلف عن الحاكم ، لتقدم وفاة البيهقي (٤٥٨هـ) عن ابن خلف (٤٨٧هـ) » .

٢ـ العلو بتقدم السماع من الشيخ ، فالذي يسمع أولاً أعلى من الذي يسمع فيما بعد ، وهذا مفيد في معرفة من اختلط عقله وخرف في آخر عمره .

ـ ومن المصنفات الخاصة بالعلو :

١ـ ثلاثيات البخاري للحافظ ابن حجر .

٢ـ ثلاثيات أحمد بن حنبل للسَّفاريني محمد بن أحمد (١١٨٨هـ) .

هـ ـ الإسناد النازل :

وهو الإسناد الذي تبعد المسافة فيه بين الراوي وبين النبي عليه الصلاة والسلام ويشتمل النزول على أقسام خمسة مثل العلو ، فكل قسم هناك له ضد هنا .

ومن الطبيعي أن العلو أفضل من النزول لقلة احتمال الخطأ في العلو ، قال علي بن المديني : « النزول شؤم » ، وقال يحيى بن معين : « الإسناد النازل قرحة في الوجه » .

ولكن إذا طرأ ما يجبر الراوي على نزول الإسناد سعياً وراء سند قوي فلا بأس به ، لأن التوثيق هو الغاية والنوع أهم من الكم ، قال الإمام عبد الله بن مبارك : « ليس جودة الحديث قرب الإسناد ، بل جودة الحديث صحة الرجال » .

وكان وكيع بن الجراح قد قال لتلاميذه : « أيهما أحب إليكم أن أحدثكم : عن سليمان الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ ، أو أحدثكم عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود ؟ » . قالوا : « نحب الأعمش ، فإنه أقرب

إسناداً » . قال : « ويحكم ! ، الأعمش شيخ ، ولكن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة فقيه عن فقيه عن فقيه عن فقيه »[1] .

* * *

(١) منهج النقد ، د . عتر ص/ ٣٦٣ .